



"الإستراتيجية الإسرائيلية في إفريقيا: من
حروب البحيرات الكبرى إلى تقسيم السودان"

2013/4/30

عقد المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق حلقة نقاش موسعة بعنوان: "الإستراتيجية الإسرائيلية في إفريقيا: من حروب البحيرات الكبرى إلى تقسيم السودان". تحدّث فيها الكاتب الفرنسي بيار بيون **Pierre Pean**¹ وحضرها عدد كبير من الباحثين والإعلاميين وأهل الاختصاص.

رئيس المركز الاستشاري، السيّد عبد الحليم فضل الله قدّم للحوار، وعرّف بالضيف " الأشهر والأوسع معرفة" في حقل الصحافة الاستقصائية منذ بداية السبعينات، خصوصاً حين يجري الحديث عن دور فرنسا وحروبها السرية في أفريقيا، وعن التعاون، بل التحالف الذي كان قائماً بينها وبين إسرائيل في هذه القارة، والذي بموجبه نقلت فرنسا التكنولوجيا النووية إلى إسرائيل، وصولاً إلى كشفه طبيعة الحلف الجديد الذي قام بين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل لاحتواء القارة السوداء على حساب النفوذ الفرنسي تمهيداً لإقصائه.

أضاف إن الحديث عن "إسرائيل" في قارة أفريقيا مثير للاهتمام والمتابعة، وخصوصاً أن المخطط الإسرائيلي قد بدأ مبكراً منذ قيام الكيان الذي تعامل مع أفريقيا على أنها حزام أمني وبوابة إلى دور إقليمي ودولي، وهو ما يطرح أسئلة على العرب وأصحاب مشروع المقاومة ينبغي عليهم التصدي لها والإجابة عليها.

أدار الحلقة الباحث في الشؤون الإستراتيجية وليد شرارة فتحدّث عن الحملة التي يتعرّض لها "بيون" من قبل اللوبي الصهيوني في فرنسا بسبب كتاباته عن دور إسرائيل في القارة الأفريقية، وخصوصاً بعد إصداره كتابه الأخير " مجازر " Carnage" الذي تحدّث فيه عن خفايا المجازر

¹ أبرز الصحافيين الفرنسيين. وله عدد من الكتب المهمة بشأن أفريقيا وسياسة فرنسا تجاه القارة أهمها: كتاب "قضايا أفريقية" *Affaires Africaines* وتعرض إثر صدوره لمحاولة اغتيال عام 1979. وكتاب عن فرنسوا ميتران بعنوان: "François Mitterrand: une Jeunesse française". ومن أعماله البارزة أيضاً كتاب عن سياسة العدو الهادفة إلى تهجير الفلسطينيين عنوانه: "بيت لحم في فلسطين" *Bethléem en Palestine* وصدر له أيضاً كتاب عن صحيفة اللوموند أثار نقاشاً واسعاً في فرنسا. وأيضاً كتاب "العالم بنظر ك" : كوشنير أن تكون نصف يهودي يعني أنك يهودي مرتين" اتهم على إثره بمعاداة السامية، وكتاب آخر بعنوان: " السود هائجون، البيض كاذبون" ويتحدّث عن مجازر رواندا، إضافة إلى كتابه الشهير " المجزرة".

التي حصلت في أفريقيا وخصوصاً في رواندا، والأدوار الخفية لكل من بريطانيا والولايات المتحدة وإسرائيل في هذه المجازر التي تحوّلت معها فرنسا أيضاً إلى ضحية كالبلدان الأفريقية الأخرى، وذلك لصالح تعزيز النفوذ البريطاني - الأمريكي - الإسرائيلي.

استهل "بيون" حديثه بالإشارة إلى أن السياسة الإسرائيلية كانت متناغمة في خمسينيات القرن الماضي مع السياسات الفرنسية في أفريقيا يوم كانت فرنسا القوة "الأفريقية" الأهم والأقوى، ليتحوّل هذا التناغم إلى تعاون وثيق حين وجدت فرنسا نفسها بعد حرب الجزائر في مواجهة عدوّها الأوّل جمال عبد الناصر الذي أعاد إحياء الجبهة الجزائرية. لقد أدّى موقف "إسرائيل" وفرنسا من عبد الناصر إلى نشوء تحالف موضوعي بين الجانبين أفرز بدوره تنسيقاً كاملاً بين جهازي الموساد والاستخبارات الفرنسية لمطاردة أعضاء الجبهة الوطنية الجزائرية. لقد وصل التعاون الفرنسي - الإسرائيلي في هذا المضمار درجة أنه كان لشمعون بيريز وزير الخارجية الإسرائيلية آنذاك، مكتباً دائماً في مقر وزارة الخارجية الفرنسية في باريس.

أتاح التعاون الوثيق بين فرنسا و"إسرائيل" حصول الأخيرة على كل أنواع الأسلحة الفرنسية، وكذلك على التكنولوجيا النووية، تحت ذريعة مواجهة العدو المشترك جمال عبد الناصر الذي راحت الصحافة الفرنسية تصفه بـ هتلر.

لاحقاً، انضمت بريطانيا إلى كل من فرنسا و"إسرائيل" في العداء لعبد الناصر، خصوصاً بعد قرار الأخير تأميم قناة السويس، ثم ما لبث هذا التحالف الثلاثي أن قام بعدوان على مصر بهدف الإطاحة بالرئيس المصري، لكن كما هو معروف تدخلت كل من موسكو وواشنطن وضغطتا باتجاه الوقف الفوري للحرب.

مع ذلك، يضيف بيون، أحدٌ لم يقرأ جيداً أو يحلّل بأن ما حصل كان انتصاراً "إسرائيل" امتلكت معه حرية الوصول إلى البحر الأحمر وكذلك السيادة على مضيق تيران، والحصول على التكنولوجيا العسكرية النووية؛ كل ذلك مقابل انسحابها من شبه جزيرة سيناء.

هكذا، كان للسياسة الإسرائيلية على الدوام بعدان استراتيجيان هما: القدرات النووية وأفريقيا، وهما بعدان متلازمان ومتواصلان. لقد دعمت فرنسا السياسة الإسرائيلية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي بشكل كبير تمهيداً لمرحلة الاستعمار الجديدة، وكانت تنظر بعين الرضا إلى سياسة "إسرائيل" في القارة الأفريقية، وسمحت لها حتى بالقيام بجولات على الزعماء الأفارقة وخصوصاً المرشحين منهم للوصول إلى الحكم، بغية الحصول على التزامهم بالتصويت لصالح إسرائيل في الأمم المتحدة في حال وصلوا إلى السلطة، وهذا ما كان يحصل.

بالعودة إلى السودان، يقول بيون، إنه كانت لإسرائيل ومنذ استقلال السودان في العام 56 رؤية خاصة بهذا البلد، فقامت بدعم الحركات الانفصالية في جنوبيه، وعقدت تفاهماً مع "شارل نوغوس"² جرى من خلاله إنشاء تحالف لمراقبة البحر الأحمر وأريتريا والسودان. وفي تلك السنوات بدأت إسرائيل أيضاً بالعمل على إنشاء علاقات وروابط مع كل من أوغندا وأثيوبيا. لكن ما لبثت السياسات الفرنسية والإسرائيلية أن تباعدتا في عهد ديغول، بل إن العلاقات ساءت بينهما خصوصاً مع حرب الأيام الستة، فسعت "إسرائيل" للتعويض عن خسارة فرنسا بتعزيز علاقاتها بالولايات المتحدة من جهة، وبنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا من جهة ثانية خصوصاً في المجال النووي، وأضحت القارة الأفريقية في الرؤية الإسرائيلية تشكّل العمق الذي تفتقر إليه "إسرائيل"، وأنشأت مع دول شرق أفريقيا ونظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا ما عرف بالـ "الميثاق الالتفافي"، أي الالتفاف على الدول الأفريقية العربية، وتحولت "إسرائيل" إلى شرطي الغرب في مواجهة روسيا في هذه القارة، فعززت من روابطها مع الرئيس موبوتو³ في زائير (الكونغو الديمقراطية)، وكانت تؤمن

² المفتش العام للقوات الفرنسية في شمال أفريقيا.

³ موبوتو سيسي سيكو: حكم الكونغو. التي غير اسمها إلى زائير بين 65 حتى سقوطه عام 97، مؤيد تقليدي لفرنسا وبروكسل. كان آوى واستخدم قوات الهوتو المسلحة التي هربت من راوندا عام 1994. ومعروف عن الهوتو ميلهم تقليدياً إلى الثقافة الفرنسية واعتناقهم الكاثوليكية.

له متطلباته الأمنية، وتحولت أوغندا تحت قيادة موسوفيني⁴ مع بداية الثمانينات إلى قاعدة خلفية لجون غارانغ⁵ المدعوم أمريكياً وإسرائيلياً من أجل الهيمنة على جنوب السودان.

وقد اعتمدت إسرائيل على موسيفيني في ذلك، وأرادت أن تكون أوغندا دولة مستقرة لكي تكون مهينة للعب الدور المطلوب حيال السودان، فراهننت على الرجل، وعملت بالتعاون مع الولايات المتحدة وبريطانيا على إيصاله إلى الحكم عام 87، فكان مديناً بذلك لمن ساعده، أي بريطانيا وإسرائيل وأميركا، وكذلك التوتسيين الروانديين.

يضيف بيون، مع سقوط جدار برلين وتراجع الدور الروسي في العالم، عاد الأمريكيون والإسرائيليون إلى مشروع روزفلت لإعادة رسم خارطة أفريقيا برمتها لاسيما أفريقيا الوسطى التي تتركز فيها ثروات القارة، لكن كان هناك مشكلة اسمها البشير. تزامن ذلك مع وصول بيل كلينتون إلى البيت الأبيض عام 93، وقد اتبع الأخير سياسة إسرائيل في أفريقيا لدرجة أنه أرسل جنود المارينز إلى الصومال، قبل أن يلجأ إلى استخدام المرتزقة بعد الهزيمة النكراء التي مني بها في هذا البلد الذي كان يعاني من الحرب الأهلية.

لقد أدت "سوزان رايس" دوراً كبيراً في أفريقيا هي وزميلها "دوجرز ونتر" الذي برز في تلك الفترة كمسؤول عن ملف اللاجئين في الخارجية الأمريكية، وهو الرجل الأخطر الذي سهل وصول كل من موسوفيني وكاغامي⁶ ولوران كابيلا وزيناوي (رئيس أنيوبيا) إلى الحكم، وكان بمثابة

⁴ يوري موسيفيني: من جذور توتسية، يحلم بتأسيس الامبراطورية التوتسية في البحيرات العظمى (راوندا، بوروندي، وكيفو الإقليم الشرقي للكونغو). وصل إلى الحكم بانقلاب عسكري وقد ضمت قواته الكثير من التوتسي الذين لجأوا إلى كيفو (الإقليم الشرقي للكونغو. د) بعد مذابح 59 و 61 التي مارسها ضد هم الهوتو، وكان على رأس هؤلاء التوتسيين بول كاغامي الذي كان رئيساً لاستخبارات تنظيم موسيفيني.

⁵ استشرع جون غارانغ قرب أفول القوة السوفيتية فتخلى عن حلفه مع رجل موسكو الإثيوبي منغستو هيلاميريام مؤسس الحزب الشيوعي الذي قاد تحالفاً ضد هيلاميريام وحكم البلاد حتى العام 91 قبل أن يفر إلى زيمبابوي، وتحالف، أي غارانغ، مع الرئيس الأوغندي الجديد موسيفيني المدعوم من أميركا والغرب.

⁶ من قبيلة التوتسي، الرئيس الحالي لرواندا منذ العام 96، تلقى تدريباته العسكرية في كلية الجيش والأركان بولاية كنساس الأمريكية. كالت الصحافة الأمريكية المديح لكاغامي وموسوفيني واعتبرتهما من زمرة " الجيل الجديد للقادة الأفارقة".

المستشار لهؤلاء الرؤساء الأربعة. في حين كان داني ياتوم وديفيد كمخي منسقي الاستخبارات الإسرائيلية في هذه الدول.

رايس عملت مع زميلها "ونتر" على إنشاء إطار تحالف بين هؤلاء الرؤساء الأربعة لمواجهة الإسلاميين في السودان، بعد أن ساعد الأمريكيون التوتسي على الوصول إلى الحكم في رواندا التي قتل فيها بين مليون وثلاثة ملايين من التوتسي في مجازر كان الهدف منها إعادة رسم خارطة النفوذ الدولي الجديد في أفريقيا في مخطّط لم يكتف معه الإسرائيليون بفصل جنوب السودان عن شماله، بل عمدوا إلى غربه أي دارفور بغية فصله أيضاً عن الدولة الأم، وذلك من خلال استخدام الدعاية المكثفة والممنهجة التي روجت لها وقامت بها جماعات الضغط في أميركا تحت شعار " أنقذوا دارفور"، فعمدت "أيباك" وغيرها من شركات العلاقات العامة إلى عقد المؤتمرات للترويج لهذه الحملة التي ما لبثت أن انتقلت إلى فرنسا، فمورست الضغوط الهائلة لكي تتبنى فرنسا الأجندة الإسرائيلية في دارفور، وقد نجحت الضغوط في ذلك بالفعل خصوصاً مع تعيين برنار كوشنير عام 2007 وزيراً للخارجية الفرنسية ليعلن أن أولوية وزارته هي مساعدة متمردي دارفور.

يشرح بيون بأن ذلك كله كان يحصل ربطاً بالرؤية الاستراتيجية الإسرائيلية في أفريقيا، تلك الرؤية التي كانت تقف وراء التحولات التي حصلت في القارة، والتي تراجع معها النفوذ الفرنسي هناك. لكن القادة الفرنسيين لم يحلّوا جيداً هذه التحولات، ولم يكن لديهم رؤية شاملة لأفريقيا ولا لمنطقة البحيرات الكبرى، خصوصاً بعد الحملة القاسية والشديدة التي تعرضت لها فرنسا واتهمتها بالوقوف وراء مجازر رواندا، ولم تتمكن فرنسا من مواجهة هذه الحملة الدعائية التي استهدفتها في موضوع رواندا، ولم ينتبه الفرنسيون، وخصوصاً وزير الخارجية روبرت فيدرين إلى الحلف الذي أنشأه الأمريكيون والإسرائيليون والبريطانيون، ذلك الحلف المعادي للإسلاميين، وفي وقت كان الفرنسيون، عبر وزير الداخلية شارل باسكوا الذي كان يتولى ملف العلاقات مع السودان، يفاوضون السودان لتسليم كارلوس، كانت الدول الثلاث، بريطانيا وإسرائيل وأميركا، تلاحق الخرطوم.

لكن فرنسا كانت بالفعل قد حاولت بحسب بيون حماية التوتسي، لكن الدعاية المناهضة لها كانت تروج أن الفرنسيين هم من يقتلون التوتسي لإعادة الهوتو إلى الحكم، وما أن تولى كاغامي الحكم في رواندا، ومع وجود موسيفيني في أوغندا، حصلت مجازر ضد الهوتو عام 96، فقام جهاز الاستخبارات الفرنسي بإطلاع الرئيس جاك شيراك على ذلك، فأراد الأخير التدخل لوقف ما يجري، لكن وإدراكاً منه لحجم النفوذ الأمريكي في هذه المنطقة، اقترح اسم جنرال أمريكي لقيادة قوة للتدخل لوضع حد لما يجري، وهو ما لم يحصل. استمرت المجازر وقرر شيراك التدخل عبر عملية استخبارية تقوم بها قواته، وطلب من وزير دفاعه التحضير للعملية، لكنه عاد وتراجع بعد ضغوط من كلينتون شخصياً.

وجّه الحضور أسئلة عدة للضيف من بينها التدخل الفرنسي في مالي، والحرب ضد ليبيا، والوجود الصيني في قارة أفريقيا، وكذلك الدور الإسرائيلي في محاربة الوجود اللبناني في القارة. قال بيون إنه لا يستطيع الإجابة على بعض هذه الأسئلة قبل أن يتم عملية جمع المعلومات والمعطيات خلال أشهر قليلة، في حين أنه ترك الإجابة على الأسئلة الأخرى لاطلاع الحضور على كتابه "المجزرة"، وكتاب آخر سيصدر في فترة وجيزة.